العتبات في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر

د . بن دبلة جلول

(جامعة عبد الرَّحمن بن خلدون – تيارت)

ملخَّص :

يمكن للقراءة أن تصنع شعرية الكتاب من خلال عتباته قبل آن تعبر إلى شعرية النص ذلك أن النص الموازي" يبرز بكل أشكاله كخطاب أساسي و مساعد . مسخر لخدمة شيء آخر يثبت وجوده الحقيقي و هو النص" و تعد العتبات أول ما يتصفحه القارئ حين يريد اقتناء كتاب ما. لذلك فان المؤلف يحرص عليها لأنها تؤدي وظيفة اغرائية و تجارية تعكس في الغالب قيمة النص .و تحفز على قراءته في المقام الأول. و كل عتبة من العتبات تجتهد في وظائفها .تتعدى إحداهاإلى المشاركة في فهم النص .و إضاءة عتماته .و فك ألغازه و غموضه .و ما أشكل على القارئ استيعابه خاصة إذا كان هذا القارئ لا ينتمي إلى بيئة المؤلف الاجتماعية و الثقافية.

وقد اخترت أن أخص عتبات رواية "حوبه و رحلة البحث عن المهدي المنتظر "لعز الدين جلاوجي بهذه الدراسة من قبيل المشاركة في إماطة اللثام عن المصطلح في حد ذاته بما تيسر . و امتحان قدراتي أمامها و المساهمة و لو بالنزر اليسير في إحياءالإنتاج المحلي و إبرازالأفلام الجزائرية المبدعة .

Il est possible que la lecture peut construire la poétique du livre « roman » a travers ses seuils avant de passé a la poétique du texte ; car le para texte « sous toutes ses formes est un discours fondamentalement hétéronome ; auxiliaire. Vie au service d'autre chose au consiste sa raison d'être ; et qui est le texte ».

Le lecture avant d'acheter un livre ; et s'intéresse tous d'abord a ses seuils pour cela choisis convenablement et veille sur luit ; car leur objectif c'est bien la fonction de séduction et la publicité ; refilent la valeur du texte et motive sa lecture au premier lieu ; et chaque seuil s'efforce dans ces fonctions dépassent a participes a la compréhension du texte et éclairer sa obscurité ; déchiffrer ses énigmes et sa ambiguïtés et que le lecture ne peut pas comprendre sur tous si se dernier n'appartient pas a la même région sociale et

culturelle. j’ai choisis les seuils du roman de Azzedine Djelouadji "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" .

تمهيد :

إن بين العتبات و النص علاقة حميمية لا تنقطع، وهي أبواب مشرعة يستطيع القارئ من خلالها تحديد أفق انتظاره لمضمون النص وهي بالمكانة التي تدفع لدراستها و التعرف على شكل الحوار بينها وبين النص، و سأحاول أن أقف على بعض عتبات رواية حوبة في دراسة بسيطة لكنها جادة تعزز الجانب التطبيقي .

-عتبة العنوان

يحتل العنوان مركز الصدارة و يتشكل بصورة واضحة على الصفحة الأولى للغلاف ما يعطيه تلك الأهمية الكبرى التي يحظى بها عند الاقتناء أو تحديد أفق انتظار القارئ ،كونه ذا طابع اختزالي يمكن من خلاله الاقتراب من العلاقة الواصلة بينه و بين النص.

لقد جاءت هذه الرواية بعنوان طويل " حوبه و رحلة البحث عن المهدي المنتظر" وجاءت كتابته بلونين و حجمين " حوبه و رحلة البحث عن " حجم أصغر و باللون الأحمر، وجاء"المهدي المنتظر" بحجم أكبر و باللون الأصفر، و كل هذه تحمل دلالاتها الخاصة دلالة الحجم الصغير و دلالة الحجم الكبير، دلالة اللون الأحمر و دلالة الأصفر، و اجتماعها لا شك سيأخذنا إلى دلالات تتوارى وراء ذلك كله .

ما أشبه هذه الرواية في صياغتها بقصة ألف ليلة و ليلة،فحوبه تقوم بدور شهرزاد تروي الحكاية على النحو :" بلغني أيها الحبيب السعيد ، ذو العقل الرشيد أنه..."[1]الجزء الأول و " بلغني أيها الحبيب الوسيم ذو القلب السليم أن..."[2] الجزء الثاني و" بلغني أيها الحبيب الظريف ذو الخلق اللطيف أن..."[3] الجزء الثالث ،و المؤلف يقوم بدور الملك يحبك مفاصل الحكاية على النحو الذي يراه مناسبا.

وأنا أتأمل العنوان جيدا خاصة وأنا أبحث عن أهم وظيفة له و هو التطابق وجدت عسرا في إسقاط العنوان على مضمون النص، و لم يبن لي إلا ما قد ينبئني به حجم الكتابة، فحضور " حوبه و رحلة البحث عن " يكاد يكون منعدما إذا لم يكن ذلك الشعور الذي يحمله كل جزائري غيور على وطنه ، متفاعل مع مأساة شعبه، يحاول أن يقدم شيئا عرفانا و امتنانا " و تحلق بنا خيالاتنا تسترجع أحداثا

---

[1]- عز الدين جلاوجي حوبة و رحلة البحث عن المهدي المنتظر دار الروائع للنشر و التوزيع الجزائر ط01 2011 ص13

[2]- الرواية ص 139

[3]- الرواية ص 285

جليلة وقعت ذات سنوات في هذا الوطن الغالي ، و حمدت الله أن حوبه قد نقلتها رواية ، و كان لي فضل تدوينها حتى لا تضيع من الذاكرة فيلعننا التاريخ و الأجيال القادمة"[4].

حوبة إذن مؤرخة لأحداث جرت في مدينتها، حاولت أن تصنع منها أثرا تحفظها للذاكرة.

وبالحديث عن دلالة اللون الأحمر ستكون إضافات أخرى، "هو من الألوان الأساسية، قد تعددت دلالاته في التراث الشعبي لارتباطه بأشياء بعضها يبهج و بعضها يؤلم، فارتبط بلون الدم للتعبير عن المشقة و الشدة و الخطر ، و ارتبط بلون النار مادة الشيطان، استعمل للتعبير عن الغواية و الإثارة الجنسية و ارتبط بالذهب و الياقوت و الورد فرمز للجمال، و ارتبط بظهوره على بعض أعضاء الجسم رمزا للخجل و الحياء و الغضب ، و رمز في الديانات الغربية إلى استشهاد في سبيل مبدإ أو دين، و يرمز أيضا لجهنم، و جاء في القرآن الكريم في وصف الطرق الجبلية يقول تعالى أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) "[5]، و نفسيا يعني النشاط و الطاقة و يوحي بثقة عالية في النفس كما يعتبر لونا مميزا للعاطفة المتدفقة ".

و أميل كثيرا أن يكون في مثل هذا الموقف تعبيرا عن المشقة خاصة النفسية في إمكانية تحمل ما جرى للشعب الجزائري مكبرا فيه روح البسالة و الاستشهاد في سبيل مبادئه مظهرا للعاطفة الجياشة المتدفقة حبا و احتراما و عرفانا.

أما الجز الثاني من العنوان " المهدي المنتظر" فهو يحمل معنى الخلاص، و أعتقد أن حضوره بهذا المعنى كان قويا من خلال:

-عرش أولاد سيدي علي: يبحثون عن الخلاص من ظلم فرنسا و القايد عباس

-العربي:الشخصية الرئيسية يبحث عن الخلاص من ظلم فرنسا و القايد عباس الذي حاول أن يأخذ منه حبه و حياته فيرى الخلاص في الفرار إلى المدينة، و في المدينة يشاهد و يسمع و يعيش ظلم المستعمر و اليهود فيبحث عن الخلاص لوطنه و لشعبه، فيختار سبيل النضال و التضحية،وهذا شأن كل الشخصيات التي كانت تحمل فكر العربي و عاشت الظلم و القهر.

و بالحديث عن دلالة اللون الأصفر فهو أيضا من الألوان الأساسية " فهو في التراث الشعبي يستمد لونه تارة من لون الذهب، و تارة من لون النحاس ،كما يستمده من لون الشمس خاصة عند المغيب ،و يستمدها أيضا من لون الليمون و التفاح و الطيب و الزعفران ، فهو رمز للوعي و العقل و الفكر، رمز للتركيز و الفهم، و التألق و الإشراق ،هو رمز للمخيلة و المقدرة على التصور وعلى الخلق و الإبداع و الإتقان ،كان مقدسا في الصين و الهند وعند البوذيين و المسيحية الأوروبية و جاء ذكره في القرآن الكريم

---

[4]- الرواية ص 556

[5]سورة فاطر الآية 27

"قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69)"[6] فاللون الأصفر في البقر جمال وبهجة و سرور، و حلية الزينة عند المرأة من الذهب لجاذبيته الإشعاعية التي تسر الناظر،و هو في علم النفس رمز الفكر و الذكاء و الفطنة و الخيال و المقدرة على التصور، و يعمل على تنشيط المخ و تقوية العقل و تصفية الذهن "[7] و مع اجتماعه بالحجم الكبير لا شك يدل على قداسة المرتجى و المطلوب و محل الاهتمام و السعي من أجله و انتظاره ،وذاك دأب الشخصيات المناضلة والأمة جمعاء.

1- **عتبة الغلاف** :

يوصف الغلاف كلوحة ضمن معمار النص، و يشتغل باعتباره صفحة تتميز عن صفحات النص بطابعه الدلالي الأيقوني، و تنتظم الغلاف مجموعة من العلامات البصرية الأيقونية والتشكيلية، والعلامات اللسانية، فهو يشكل محيطا فنيا لا يقل أهمية في إبراز البعد الدلالي للنسق الأدبي، و من شروط تصميمه أن يجذب الاهتمام، و يثير الانتباه، و يساعد على التحكم في حركة العين وانجذابها نحو الأشكال البارزة، و الصور المحفزة، و الألوان الجذابة، كما للعلامة غير اللغوية من دور فعال و محفز يحقق غاية تواصل مع العمل الأدبي.

لقد اخذ الغلاف في هذه الرواية الرداء الأسود كلية في الصفحة الأولى و الصفحة الرابعة ،إنه لون الليل المظلم ،القهر و الحرب و الحرمان هذا حال الشعب الجزائري إبان الفترة الاستعمارية الغاشمة،لكن مع هذا الليل الحالك السواد يطل قمر من بعيد يتشكل في وسط الصفحة الأولى للغلاف ،يبرز منه لون النقاء و الصفاء و الأمل، إنه نور القمر الأبيض الذي يرتجيه الشعب الجزائري و يطمح إليه ،و يرى فيه الخلاص من الضنك و الضيق و البؤس مع اختلاف الفكرة والطرح و وجهة النظر حسب المشارب و المذاهب السياسية ،في أعلى الغلاف جاء اسم المؤلف "عز الدين جلاوجي" بخط أبيض يضاد اللون الأسود و يعاضد لون القمر، و إن كان هذا الأمر يبدو عاديا لأول وهلة و لا يوحي أبدا بأية دلالة لأن الأمر اقتضاه الطبع و الإخراج، و لكننا لمحنا في ذلك تسوقا عجيبا دالا بين اللون الأبيض الذي خط به اسم المؤلف و لون القمر البازغ الظاهر في وسط الصفحة.

و فوق القمر جاء العنوان بلونين الأحمر و الأصفر و بحجمين للخط حجم كبير و آخر أقل منه كنت قد أشرت إليه في الحديث عن العنوان ،و يأتي التحيين في أسفل حافة الغلاف إلى اليسار و بلون أبيض صارخ يتوعد الليل أن يفضح خططه ،و يزيل عتمته ،و غدا لناظره قريب ،و كان الفضل في الأخير إلى دار النشر

---

[6] سورة البقرة الآية 69

[7] – عبيد صبطي :نجيب بخوش الدلالة و المعنى في الصورة دار الخلدونية للنشر والتوزيع ،القبة القديمة ،الجزائر ط1 2009 ص41 -45-50-46

" دار الروائع" التي جاءت في أسفل صفحة الغلاف و جاءت علامتها باللون الأبيض أيضا تقر بمشاركتها في تغيير الوضع.

أما الصفحة الرابعة فقد تضمنت جزءا من استهلال البوح الأول " أنّات الناي الحزين" خط بلون أبيض رقيق على الخلفية السوداء، فعجبا كيف يجتمع لون السلام والخير و التفاؤل مع لون الليل المخيف الموحش تعمده المؤلف صارخا و لسان حاله أيها الليل لا تغتر بظلمتك تجبرا و تكبرا،و اعلم أن أمثال سي رابح و العربي الموستاش سيخترقون ظلمتك، فقد جبلوا على النقاء و صفاء السريرة، و لهم مع الليل حكايات فاسأل القايد عباس يخبرك عن ذلك .

و جاء على يسار هذا التصدير صورة المؤلف داخل إطار مستدير الشكل ،أسفله ذكرت مجموعة من أعماله الروائية و خطت عناوينها كذلك باللون الأبيض الذي لم يأتي جزافا، و إنما اختير بعناية لأنه يدل على الخلاص بعد العسر و هذا شأن المضامين التي عالجها المؤلف من خلال هذه الروايات، فإنها تتقاطع في الحديث عن هموم الإنسان حين تنتهك إنسانيته ،و تقيد حريته و يستصغر شأنه .

و في الأسفل إلى اليسار تم تدوين دار النشر و عنوانها و رقم الفاكس و عنوانها البريدي ،و توجت برمزها موصولا إلى الأعلى بخط رأسي شامخ يعطي إحساسا بالنماء و العظمة والكبرياء ،و بقيت الصفحتان الثانية والثالثة صامتتين كالعادة .

.

3-عتبة الإهداء:

إن الاهتمام بدراسة عتبة الإهداء لا يقل أهمية عن بقية العتبات، فالتلون السيكولوجي و الإدراكي و السوسيولوجي الذي يزخر به تنبجس منه مقصديات يمكن أن تضيء بعض الزوايا المظلمة ، فهو في المقام الأول تكريم للمتلقي و احتفاء به عما يحظى به من اعتبار و تقدير من قبل المؤلف ولذلك ينبغي أن يحظى بالتأمل و التدبر لاستجلاء الإشارات الظاهرة و الخفية.

كما هي عادة المؤلف فقد جاء الإهداء

" إلى بني الإنسان

***

يا بني الإنسان

الأرض واحدة و الشمس واحدة

تحابوا

لا تفرقوا في دهاليز الظلام"[8]

---

[8] الرواية ،ص03

مركزا و دقيقا و شاملا ،و ما أعظم أن يكون كذلك ،هي رسالة من محب من عاشق من غيور من داعية ،يرى في اجتماع الإنسانية و نبذ الأحقاد و التفرق السبيل الوحيد لوجود هذه الإنسانية، فيمكن لكل الأجناس على اختلاف مشاربها و مذاهبها و معتقداتها أن تتعايش، فالرسالة تحمل في طياتها انفعالات ذاتية و مشاعر جياشة ،فهي للإنسانية جمعاء ،و فيها تحريض للمتلقي و إثارة انتباهه، لسان حاله يقول :أيها القارئ كن معي و اسع لتخليص الإنسانية كن إنسانيا قبل كل شيء، و يمكن أن نرى من خلال هذه الخطاطة ما يرمي إليه

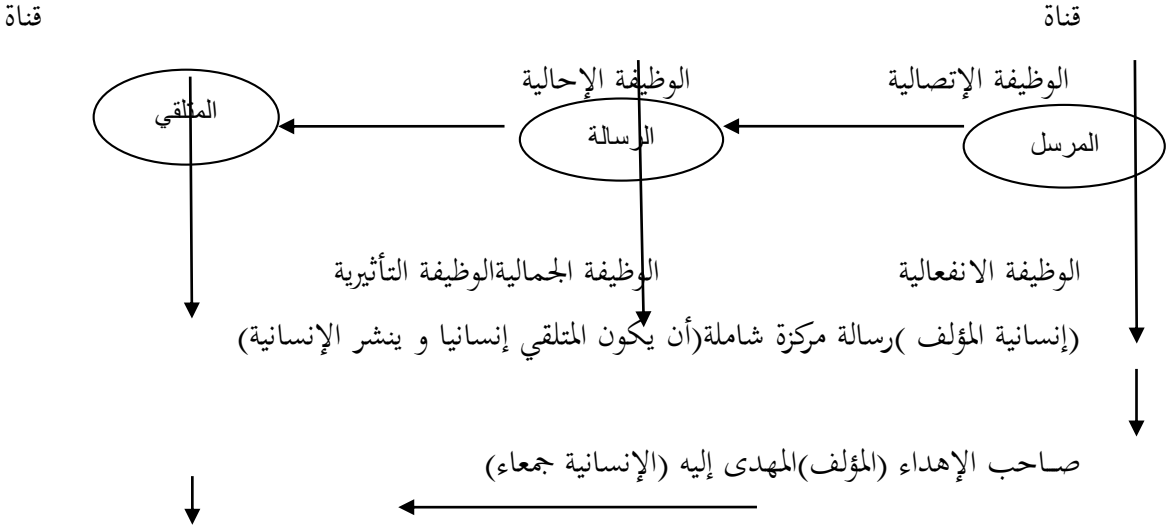

4-عتبة الاستهلال:

يشكل الاستهلال في الرواية ضربا من ضروب التناص المفصول عن بنية النص، و مصباحا يضيء دجى ما أظلم،و معمارا لكل ثغرة شق على القارئ ملأها ،و لذلك له أهمية كبيرة كغيره من العتبات التي يفتح بها القارئ ما أغلق

أمام التناص الماثل بين هذه الرواية و حكايات ألف ليلة و ليلة في الشكل يجعل النص الروائي يعتمد على أكثر من استهلال ،فمع كل عنوان داخلي هناك استهلال في بدايته و آخر في نهايته، لكنه شكلا يأخذ موقع الخاتمة لكن مضمونا موصول بما يليه، فهو تتمة للأول استهلال للثاني حسب ما اعتقد، و من خلال تصفحي لهذه الاستهلالات.

لقد جاء الاستهلال في البوح الأول مثيرا للجدل مع أن العنوان جاء "حوبه و رحلة البحث عن المهدي المنتظر"، إلا أن المؤلف فاجأنا بقوله "أنا لا أؤمن بالمهدي المنتظر هو مجرد خرافة رسمها حيال العامة المنهزمين تعلقا منهم بأمل ما"[9] ،"لكن حوبه تؤمن به و تنتظره بشوق كبير و تظل تحكي عنه دون ملل أو كلل"[10] ، ما ظننت أن المؤلف يغفل عن مثل هذه الحقيقة على الإطلاق ، و لذلك لا أراه إلا يصيب الحقيقة في توجسه من انسلال التواكل و روح الهزيمة إلى القلوب و النفوس، و لسان حاله يقول كلنا المهدي المنتظر و ينبغي أن نكون كذلك، و لا أحسب حوبه إلا أنها هي أيضا لامست الحقيقة ،فأن تبقي على خيوط الأمل أفضل من اليأس و لكل زمان و حال مهديه المنتظر .

على شكل قصص ألف ليلة و ليلة كانت هذه الرواية ،و كانت حوبه هي شهرزادها، تحاكيها بأسلوبها و تختلف عنها في المضمون ،و المؤلف هو شهريارها مع أنه يتواضع في ذلك ،كانت الحوارات بينهما توحي بالقرب الكبير و كانت تختم " بلغني أيها الحبيب السعيد ذو العقل الرشيد..."[11] و كان للمؤلف أن يملأ الفراغات و يختم .

و جاء الاستهلال في البوح الثاني على نحو الحميمية المعتادة، لكن هذه المرة كانت رحلة بالسيارة لزيارة عرش أولاد سيدي علي ،و تل الغربان ، و القرية التي تغير فيها كل شيء بمرور تسعين سنة ، و قرابة سيدي علي الولي الصالح ،و كان فيها استرجاع ما يعتقد أنه حدث و حدّثت به حوبه ثم تكمل "بلغني أيها الحبيب الوسيم ذو القلب السليم أن ..."و يبدأ البوح الثاني.

لم تخلو الحميمية من هذا الاستهلال أيضا، و على أنغام كاظم الساهر يغني قصيدة نزار القباني، و استحضارا لماضيهما ،و ما لبثت أن راحت حوبه تكمل حكايتها "بلغني أيها الحبيب الظريف اللطيف ..."و يبدأ البوح الثالث و الأخير.

و أنا اتأمل هذه الاستهلالات شدتني أسئلة أثارت فضولي هل جاءت هذه الاستهلالات تناصا شكلا مع ألف ليلة و ليلة فقط؟ و إن كان كذلك و لا أظنه فإن وقفة الاستراحة هذه تعيد شحن القارئ بعبق التراث العتيد يلملم شمله و يعيد قوى ذاكرته ليستشرف ما هو آت.

5- عتبة الحواشي و الإحالات:

تعد الحواشي و الإحالات من عناصر النص الموازي le para texte ،فهي نص محيط تأليفي ضمن النص الموازي التأليفي، يوليها جنيت أهمية عظمى لا تقل أهمية عن بقية العتبات،فمعها ندرك الكثير من

---

[9] الرواية ص11

[10] الرواية ص11

[11] الرواية ص13

الحدود الحاضرة أو الغائبة، فهي تشكل علامة لسانية فارقة تنمو حول النص، و تتعالق معه ،تارة داخله و تارة خارجه ،لكن تبقى منفصلة عنه تشكيلا و بناء،

يحدد جيرار جنيت وظائف الهامش في وظيفة التعليق على النص، فالهامش يقوم بتمديده و تنظيم الانتقال فيه من عنصر إلى آخر و تفسير ما يدعو إلى التفسير و التوضيح و الإضاءة و الإضافة بما أن الإحالة أو الهامش نص محيط تأليفي يضطلع بجملة من الوظائف بتوازيه مع النص الروائي فإن حضوره في رواية حوبة كان منتظرا لذلك سأحاول أن أتتبعه لتقفي و استجلاء وظيفة هذه العتبة.

لقد أخذت الإحالات موقعها المعروف و تركزت كثيرا في البوح الأول تحديدا و البوح الثاني تباعا، و لم يكن في البوح الثالث إلا القليل منها، و في اعتقادي أن الأمر منطقي خاصة و أن المؤلف يستحضر في ذهنه طبيعة القارئ، و تعدد مشاربه و ثقافته و مدى الإختلاف في كثير من المسميات بين سكان الشرق و الغرب إذا علمنا أن جل هذه المسميات نابع من عادات و تقاليد الناس، لذلك فإن الإحالة ستميط اللثام على ما يجهله القارئ، و قد لا يجد له في صفحات الكتب ما يوضحه، و الجدول الإحصائي لهذه الإحالات يوضح أكثر ما أتيت على ذكره و اعتقدته بعد قراءتي :

البوح	الصفحة	الإحالة
البوح الأول أنات الناي الحزين	17	إح1- شرح لمعنى "سي"التي تضاف لاسم الشخص :سي طالب و هي اختصار لسيدي
	21	إح2- شرح لمعنى المكحالجي نسبة إلى المكحلة
	23	إح3- شرح الأكلة الشعبية شخشوخة
	24	إح4- المثارد جمع مثرد و هو صحن يوضع فيه الطعام
	26	إح5- الشمة نوع من التبغ
	27	إح6- المراح مأوى النعام وقد تقصد به الزريبة أيضا
	29	إح7- سر إضافة كلمة العرب لكل ما هو طبيعي و تقليدي
	30	إح8- شرح لكلمة الربانية "أنا أعالج بالربانية
	31	إح9- معنى كلمة قشابية أو االجلابية إح10- شرح كلمة القايد رتبة تركية
	37	إح11- شرح لدار الفساد أي الماخور
	38	إح12- تفسير لمعنى البهلي أي الدرويش أو المرابط
	44	إح13- معنى المكحلة أي البندقية

		إح14- معنى القرابة أو القبة ضريح الولي الصالح
	51	إح15- معنى قلمونة أي القلنسوة المنسوجة
	60	إح16- معنى المقرون أي المجنون لكن ليس الجنون البائن و إنما نسبة إلى بعض التصرفات العنيفة. إح17- معنى سروال العرب أي السروال التركي إح18- معنى العرّاقية شاشية مثقوبة توضع فوق الرأس
	73	إح19- معنى المحرمة خمار يوضع فوق الرأس
	76	إح20- المطلوع نوع من الخبز
	77	إح21- معنى القندورة أي العباءة
	82	إح22- معنى التيشخشخ نبات يستعمل صابونا للغسل
	91	إح23- معنى المطمور هو جب أو حفرة يخزن فيها القمح
	92	إح24- معنى العشور أي العشر في الزكاة إح25- معنى المشروب أي القمح المخزن تحت الأرض
	103	إح26- معنى النوالة أي بيت إعداد الطعام
	115	إح27- معنى الضامة أي لعبة تشبه الشطرنج
	116	إح28- معنى الزرنة آلة موسيقية تشبه الناي إح29- التبراح أي إظهار ما قدمه الشخص من قيمة مالية و تمجيده
البوح الثاني عبق الدم و البارود	142	إح30- معنى العجار ثوب يحجب المرأة كاملة إلا العينين و يطلق على الحايك
	151	إح31- معنى الحار مشروب الجنجلان (الخرجلان)
	153	إح32- معنى الحمامجي أي الذي يعمل في الحمام
	157	إح33- معنى الجزوة أي قهوة تحضر على الحطب
	158	إح34- معنى الرومي أي الفرنسي
	167	إح35- تطلق لالة على المرأة الكبيرة المسيطرة على البيت
	191	إح36- المقطعة نوع من الشربة
	203	إح37- الطيابة تطلق على المرأة التي تعمل داخل الحمام
	260	إح38- البوقالة هي جرة الماء
	267	إح39- العمريات اسم يطلق على نساء سطيف أي من اولاد عمر

البوح الثالث	315	إح40- معنى الظهارة أي موقع الشمال عكس القبالة في الجنوب "اتجاه القبلة"
النهر المقدس	339	إح41- البرّاح رجل يخبر الناس و يعلن عن الضالة
	351	إح42- وي وي تطلق على من يؤيدون فرنساoui oui

بعد رصد و قراءة جميع الإحالات التي جاءت في هذه الرواية استنتجت أنها مسحت في السواد الأعظم مسميات و مفاهيم من المعجم الشعبي الذي تداولته ألسنة العامة و تواضعت عليه، و كان وقوف المؤلف عليه بالتفسير و الإيضاح أمر طبيعي، فهو يتعامل مع قراء مختلفين داخل الوطن وخارجه، و حتى داخل الوطن الواحد هناك اختلاف في تداول أسماء و مسميات اشتهرت بها منطقة دون أخرى،وعلى سبيل المثال لا الحصر (العجار عند السكان في الشرق يطلق على الحايك و عند سكان الجنوب تطلق على قطعة قماش تغطي وجه المرأة دون عينيها) لذلك فإن هذه الإحالات جاءت تفسيرا و شرحا لجملة من المسميات اشتهرت في الجزائر، و اشتهرت في الشرق الجزائري خاصة، و قد لا نأخذ المسمى نفسه في بقية المناطق و لا شك في أن عدم الوقوف عليه سيجعل مهمة القارئ صعبة و يستعصي عليه الفهم ويشكل عليه البيان و التأويل، لأن هذه المسميات الشعبية غير واردة في المعاجم، و جلها جاء بالتواضع أو بالمثاقفة، و على سبيل المثال: المكحالجي :تسمية تركية نسبة إلى المكحلة

القايد: تسمية أيضا تركية لا تحمل مواصفات القائد في المعركة و إنما مواصفات كبير القبيلة وشيخها يولى على عرش (قبيلة) لخدمة مصالح فرنسا لا لعلمه أو خبرته أو حكمته.

6-عتبة العناوين الداخلية:

تعد العناوين الداخلية نصوصا محيطة تأليفية، يعتمدها المتن الروائي لكل فصل على حدى، و يكون انفتاحها على عوالم أكثر خصوصية، فهي تعمل على إلغاء سطوة العنوان الرئيسي و تستبعده جزئيا لقد حظيت هذه الرواية "حوبه و رحلة البحث عن المهدي المنتظر بحضور العناوين الداخلية ، و قد جاء ت على النحو الآتي :

-البوح الأول: أناة الناي الحزين

-البوح الثاني:عبق الدم و البارود

-البوح الثالث: النهر المقدس

البوح الأول :

حين بدأت قراءة هذا الفصل استشعرت غموضا ما فتئ يتلاشى، فوجدت نفسي في نفس الشخصية الرئيسية، لقد كان يعيش حزنين ،حزن على مقتل أبيه غدرا و عدوانا قتله"حميدة" أحد رجال القايد عباس و بإشارة منه و قد كان فيهم شيخ القبيلة و أسدها و حاميها ، وأما الحزن الأكبر فقد كان ما يحدث أمام عينيه و سمعه، فالمستعمر يستولي على أرضه و عرضه، و يزيد الحزنين ذلك الحب الذي يكنه لحمامه و خوفه من الغد، لذلك كان عزاءه أن يجلس في أحضان الطبيعة يدغدغ عيون قصبته، و ينشد شعرا أعده

لمعشوقته، و في ذلك كله ارتباط وثيق بين العنوان الداخلي الذي أخذ عنوان أناة الناي الحزين و ضمنيات ما تعيشه الشخصية الرئيسة.

البوح الثاني:

إن أكثر ما يدعو للغموض أثناء قراءة هذا العنوان كيف يجتمع العبق مع الدم و البارود، فالعبق هو الرائحة الطيبة، و ما كان للدم أو البارود هذه الرائحة، لذلك فإن المعنى يعلق وراء القناع لا شك، و لم اجد إلا التعبير المجازي الذي يظهر في أن لغة الدم و البارود حين تكون ضد الأعداء فإن العربي و سي رابح و غيرهم يجدون في ذلك ما يجدونه في عبق الزهور و الورود.

لقد جاء الفصل الثاني حافلا بالانتصار على الضيم و الظلم ، فكان أن ثار العربي لمقتل أبيه حينما أقدم مع رفيقيه في النضال على قتل القايد عباس و معاونه حميده، ثم كان المصير المحتوم الذي لا بد منه حين اتفق الإخوة المناضلون على أن يستعدوا لمحاربة فرنسا مؤمنين بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، فلا نيّة لفرنسا في الخروج من أرض الجزائر، و ما لغة السياسة بالتي تأتي بالاستقلال ما لم تتسلح بلغة القوة و الدم و البارود " لقد امتدت يده فقتلت عباس المجرم ، ليس لأنه ظالم للعربي الموستاش فحسب، بل لأنه عميل لفرنسا التي تحتل هذه الأرض الطيبة منذ قرون، و إذا فشلت كل الثورات السابقة في هزيمتها فلن تفشل هذه المرة ، الطوفان قادم متى و كيف ؟ ليس يدري إنه يحس أن في الأفق أمرا ما، إن دماء في عروق هذا الوطن قد بدأت تسري "[12]

البوح الثالث :

ما إن قرأت هذا العنوان حتى استحضرت قداسة المكان في الهند، فهو مزار يحاط بالعظمة والتقديس لحد أنهم يستحمون فيه للتبرك، و يحرقون موتاهم فيه، و شعرت بأن ما سيأتي سيكون له شأن خاصة عندما قرأت " الطوفان قادم متى و كيف؟ ليس يدري"[13] فقد كان هذا القول في آخر مشهد من مشاهد البوح الثاني، لذلك لم ينتبن الغموض و لم تزاحم فكري الأسئلة المحيرة لأنني عشت مع سي رابح و العربي و أمقران هواجسهم، و قرأت أفكارهم، و لم يساورن شك في أنهم سيعدون لهذا النهر المقدس خاصة و أنا أقرأ من قصيدة العربي :

و العزة طريقها واحد

النار و البارود والدم افور [14]

---

[12] الرواية ص 273

[13] الرواية ص273

[14] الرواية ص445

لم يكن النهر المقدس الذي أعد له العربي الموستاش و سي رابح و غيرهم في شبه من النهر المقدس في الهند إلا في التقديس ، و إن كان نهر الهند يسيل ماء فإن نهر الجزائر ملأته دماء الأحرار وصنعته الهمم و البطولات " ثم راح الجميع يتوافدون على مسجد المحطة كأنهم السيل المنهمر واكتظت بهم الباحة و الشوارع المحيطة نساء و رجالا كبارا و صغارا، وقف العربي الموستاش يتأمل حالما أن في يد كل واحد بندقية ...كان العدد هائلا يقدر بالآلاف...لكن آخر المسيرة لا يرى بعد ...أخشى غدر الكلاب، هذا النصر لن يسعد أعداءنا ...اندفع أحد الشبان حتى تصدرالمسيرة، ، و أخرج العلم الجزائري و رفعه مرفرفا...و انطلق الرصاص من مسدس المحافظ وتهاوى الفتى لكن الراية لم تتهاو و تلقفتها الأيدي و كثر إطلاق الرصاص من كل الشرفات فتساقط الناس بالمئات..."[15]

إن العناوين الداخلية شأنها شأن العنوان الرئيسي، حاولت الإحالة بشكل شبه مباشر على موضوع المتن الروائي، و استوعبت مفاصله و سيقت بشكل لافت تتوسم لغة الإشارة و الرمز و تحيل على المجاز و المحجوب لا الواضح المألوف.

7- عتبة القراءات النقدية :

تعد هذه العتبة ذات أهمية كبرى كونها تحتضن أقوالا نقدية صادرة عن أقلام هي قامات من قامات الأدب و الشعر و النقد، لذلك لا يمكنها أن تحابي أو تداهن، و من شأن هذه القراءات النقدية أن تفتح بالدرجة الأولى شهية القارئ للإقبال على قراءة العمل الروائي، فهي نصوص فوقية تأليفية عامة تحضى بمكانتها، و عادة تكون هذه القراءات في الصفحة الرابعة على الغلاف.

ولم تحظ هذه الرواية بأية قراءة نقدية فقط لأنها الطبعة الأولى ومن العادة أن تكون القراءات في الطبعات التي تليها .

---

[15] الرواية ص545-547-548-549